



رحلة النبي للطائف

04 برنامج أمل وانتصار

الحلقة الثامنة عشرة

2021-04-30

مقدمة :

الدكتور بلال نور الدين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوتي الأكارم ؛ أخواني الكريمات ؛ أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، نحن معاً في مستهل حلقة جديدة من برنامجنا : "مع الرسول صلى الله عليه وسلم" ، في هذه الحلقات المباركة تستضيف شيخنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، نحاوره حول بعض شمائل النبي المختار صلى الله عليه وسلم .

السلام عليكم سيدي .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الدكتور بلال نور الدين :

أكرمكم الله ؛ سيدي اليوم نبذة من سيرة سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، نحن ننوع في حلقاتنا مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

الحلقة اليوم عن رحلته صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عن عام الحزن ، النبي صلى الله عليه وسلم حزن في عام الحزن ، وكما تعلمون فقد سنده الداخلي خديجة رضي الله عنها ، وسنده الخارجي عمه أبا طالب فخرج إلى الطائف ، ما دلالة أن يدعو إلى الله عز وجل في الظروف الصعبة العصبية التي يمر بها عام الحزن ثم يخرج لعله يهدي الناس إلى الله تعالى؟

الحكمة أكبر عطاء إلهي :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أولاً دكتور بلال جزاك الله خير ، الدعاء هو العبادة ، ضغطت العبادة كلها بالدعاء .

ما معنى الدعاء ؟ هذا الكائن الحادث ، الطارئ ، الخائف ، الشهواني ، الأناني في أصل خلقه يتطلع إلى خالق السماوات والأرض ، أصل الجمال ، والكمال ، والنوال ، صاحب الأسماء الحسنى والصفات العلى ، من يده كل شيء ، إليه يرجع كل شيء ، فهذا الضعيف إذا اعتمد على القوي أخذ من قوته ، اعتمد على العليم أخذ من علمه ، اعتمد على الرحيم أخذ من رحمته ، هذا التخلي بأخلاق الله ، الاتصال بالله تشتق منه الكمال ، الرحمة ، الإنصاف ، العدل ، الحكمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269) ﴾

[سورة الطلاق]

أنت بالحكمة تجعل العدو صديقاً ، بالحكمة تسعد بأي زوجة ، بالحكمة تعيش بمال محدود ، وتسعد بهذا المال ، بلا حكمة تشقى بأرقي زوجة ، بلا حكمة تشقى بمال وفير ، من دون حكمة طبعاً ، أي أكبر عطاء إلهي الحكمة ، والحكمة لا تؤخذ ، ولا تكون ، بل تؤتى من الله ، وهي أكبر مكافأة للمؤمن (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) .

الابتلاء علة وجودنا :

الآن من الحكمة أن تفهم سرّ وجودك ، وعاية وجودك ، وحقيقة الدنيا ، وماذا بعد الموت ، وماذا بعد البرزخ ، هناك جنة عرضها السماوات .

{ عن سهل بن سعد رضي الله عنه : قال : شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلَسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ ، حَتَّى انْتَهَى ، ثُمَّ قَالَ فِي

آخر حديثه : ((فِيهَا مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أذنَ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ)) {

[أخرجه البخاري]

لكن لم يكن هناك امتحان لا قيمة لهذه الحياة .

مثلاً لو وزعنا أوراق الامتحان على الطلاب ، وقد طبعت عليها الإجابة كاملة وبدائرة حمراء العلامة مئة من مئة ، هذا النجاح لا قيمة له إطلاقاً لا عند الناجح ، ولا عند أهل النجاح ، ولا عند الناس .

فلا بد من الابتلاء ، علة وجودنا الوحيدة الابتلاء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ (2)

[سورة الملك]

هذه آية جامعة مانع (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)

[سورة المؤمنين]

آية ثانية ؛ هل هناك إنسان يدخل الجامعة يعتقد أنه لا يوجد امتحان ؟ يكون أحق ، فالامتحان من لوازم الجامعة ، والابتلاء من لوازم وجودنا في الدنيا : (وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) ، (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)

يوجد ملمح بالآية دقيق جداً ؛ ليس من المعقول أن ترسب في هذا الامتحان ، مليون دليل على وجود الله ، ووجدانيته ، وكماله ، كل شيء واضح وضوح الشمس ، كالشمس في رابعة النهار ، لذلك الإنسان إذا ابتعد عن الدين ابتعد عن الشمس .

الدكتور بلال نور الدين :

لذلك : (لِيَبْلُوَكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) درجات .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

لم يأت أبكم نجح أو لم ينجح ، لا ، (أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) التفاوت بالمراتب فقط ، الواقع الآن يوجد شيء جديد لم يكن من قبل ، هناك تفاوت بالبعد عن الله كلياً ، بإنكار وجوده أحياناً .

الدكتور بلال نور الدين :

إذاً رحلته إلى الطائف صلى الله عليه وسلم تدرج ضمن هذا الابتلاء ، وعام الحزن ضمن الابتلاء .

النبي قدوة لكل البشر :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ مَا لَمْ يُخَفْ أَحَدٌ ، وَأُؤْذِيتَ فِي

اللَّهِ مَا لَمْ يُؤَذَّ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَمَالِي وَلِبَالٌ طَعَامٌ إِلَّا شَيْءَ يُؤَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ {

[أخرجه الترمذي]

النبي الكريم لأنه وحده قدوة للأغنياء والفقراء ، والأقوياء والضعفاء ، والأصحاء والمرضى ، الله أذاقه من كل شيء طرفيه الحادين ، هو ابتلي بالغنى وابتلي بالفقر ، لم يجد في بيته شيئاً يأكله ، لأن الناس متفاوتون ، لو ابتلي بالغنى فقط ، يوجد فقراء ، لو ابتلي بالقوة يوجد ضعفاء ، فابتلاؤه شمولي ، وبكل صفة من صفات الابتلاء من طرفيه الحادين ابتلي ، هو قدوة لكل الناس .

الدكتور بلال نور الدين :

هنا سيدي النبي صلى الله عليه وسلم رغم عام الحزن ، وما لقي فيه من فقد زوجته وفقد عمه ، وشعوره بأنه فقد سنده من أهل الأرض طبعاً ، سنده من السماء متصل ، رغم ذلك لا يفكر في ترك الدعوة إلى الله ، ويخرج إلى الطائف يلتمس النصرة في ذلك .

بطولة الإنسان أن يوجد وألا يرى مع الله أحداً :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

والله يا عم ؛ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، الحقيقة الإنسان لو ذاق طعم القرب يستسهل كل أنواع الابتلاء ، أنت اتصلت مع الأصل ، مع خالق السماوات والأرض ، مع الذات الكاملة ، مع أصل الجمال ، والكمال ، والنوال ، مع الحبيب ، مع القوي .

إذا كان هناك طفل صغير ، والده هو الملك ، هل يخاف من شرطي ؟

البطولة أن توجد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، هل يعقل أن تضغط رسالات الأنبياء جميعاً بآية واحدة ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

[سورة الأنبياء]

هذه كلمة التوحيد ، ونهاية العلم التوحيد ، ألا ترى مع الله أحداً ، أي لو أسلمك إلى غيره ؛ إلى قوي ، إلى غني ، لا يستحق أن تعيده ، لو أسلمك إلى فيروس ، كله بيده ، التوحيد يعطي راحة نفسية تفوق حدّ الخيال ، علاقته مع ربه ، ربه بيده كل شيء ، مثلاً وحوش جائعة ، كاسرة ، مفترسة ، لا ترحم ، مربوطة بأزمة بيد جهة ، أنا علاقتي ليست مع الوحوش مع من يملكها ، لذلك :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَائِبٍ إِلَّا هُوَ أَجْدُ بِتَبَاصُّيْتِهَا إِنَّ رَبِّي
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)

[سورة هود]

الدكتور بلال نور الدين :

الآن سيدي وصل إلى الطائف صلى الله عليه وسلم ، دعا أهلها إلى الله ، وهو يصف بأنه كان هذا أشد من يوم أحد عليه ، يدعو أهلها إلى الله ، يأمرهم بالمعروف ، ينههم عن المنكر ، فما كان منهم إلا أن أغروا به صبيانهم ، وضربوه بالحجارة ، حتى أدميت قدمه صلى الله عليه وسلم ، فجاءه جبريل قال : إن الله عز وجل :

{ عن عائشة رضي الله عنها : قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحُد ؟ قال : لقد لقيت من قومك . وكان أشد ما لقيت يوم العقبة ؛ إذ عَرَضْتُ نفسي على ابن عبد ليلى بن عبد كلال . فلم يُجِبْنِي إلى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب . فرفعت رأسي . فإذا أنا بسحابة قد أطللتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني . فقال : **إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ . وما ردُّوا عليك . وقد بعثَ إليك ملكَ الجبال لتأمر بما شئتَ فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسَلَّمَ عليّ ، ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قولَ قومك ، وأنا مَلَكُ الجبال ، وقد بعثني رُكَّ إليك لتأمرني بما شئتَ ، إن شئتَ أطبقْتُ عليهم الأخشيبين- الجبلين- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرجَ الله من أصلابهم مَنْ يَعبُد الله وحده لا يُشْرِكُ به شيئاً }**

[أخرجه البخاري ومسلم]

وتنتهي الطائف ، ولا يعد هناك مدينة اسمها الطائف يقول صلى الله عليه وسلم :

((لا يا أخي : **بل أرجو أن يخرجَ الله من أصلابهم مَنْ يَعبُد الله وحده** - اللهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون))

ما دلالة هذا ؟

فقه المآلات :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

هذه مرتبة النبوة ، بل مرتبة الرسالة ، بل مرتبة سيد الأنبياء والمرسلين ، هذا الكمال الذي يستحق به أن يكون سيد أهل الأرض .

الدكتور بلال نور الدين :

دعا لهم ، اعتذر عنهم ، ورجا الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله ، هذا النظر المستقبلي سيدي :

((**بل أرجو أن يخرجَ الله من أصلابهم**))

وهذا ما كان .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

هذا ما كان ، هذا سيدي يسمونه : فقه المآلات ، أنا حينما أرعى طفلاً ، أرعاه زوجاً صالحاً ، وعاملاً مخلصاً ، وعالمًا جليلاً ، ومفكرًا مستقيماً ، الحقيقة فقه المآلات شيء مهم جداً ، هذا البناء ؛ يوجد عمل فيه بناء الأمة ، الآن المعلم يبني الأمة ، فنحن عندما نختار المعلم الجيد في فهمه ، وفي أخلاقه ، وفي دخله المعقول المعقول نبني أمة ، الإنسان يتعلم بأول مرحلة من أمه فقط ، دور المعلم أقوى بكثير ، ثم يتعلم المرجعيات الدينية ، فإذا الأم غرقت في العمل اليومي ، وترك بيتها ، والمعلم أعطيناها أقل معاش بالبلد كله ، لا يكفيه ، عندما كان الراتب قليلاً جداً جاء أشخاص بمستوى متدن عن المطلوب ، والمرجعيات الدينية عندما اتهمناها باتهامات باطلة انتهت ، مصادر القيم في المجتمع ، الأم ، المدرسة ، المرجع الديني ، هذه الحقيقة ، يوجد على الإسلام مؤامرة عميقة جداً ، وخطيرة جداً ، هذا الذي نعيشه اليوم .

الدكتور بلال نور الدين :

سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا في الطائف ، أراد الله أن يمكنه منهم ، أي يرسل له ملك الجبال طوع أمره ، في لحظة التمكين ، ولحظة القوة ، كيف يكون الإنسان هنا لا يؤثر الانتقام بل يؤثر العفو ؟

من أثر العفو على الانتقام فقد عرف الله وعرف رحمته بعباده :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

هؤلاء الأبطال ، المؤمنون الكبار ، الذين عرفوا الله ، وعرفوا رحمته بعباده ، هذه نقطة مهمة جداً ، كلما عرفت الله أكثر ارتقيت بالأخلاق أكثر ، اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون .

خاتمة وتوديع :

الدكتور بلال نور الدين :

جزاكم الله خيراً سيدي ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ أخواتي الكريمات ؛ في نهاية هذا اللقاء الذي طاب بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبشرحٍ جميلٍ من شيخنا جزاه الله عنا خير الجزاء ، لم يبقَ لي إلا أن أشكر لكم حسن المتابعة ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن نلتقيكم دائماً على خير ، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نور الدين الاسلامي